

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي
 جَنَّتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ
 ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمَصْلِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾
 وَكُنَّا نَحْوُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّى
 أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ [الذثر: 38 - 47]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَاتِ لِمَا قَبْلَهَا:

شَتَّانَ بَيْنَ
 مَصِيرَيْنِ فَرِيقٍ
 فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٍ
 فِي السَّعِيرِ

لَمَّا كَانَ التَّقْدِيمُ وَالتَّأْخُرُ بِالْأَفْعَالِ، وَكَانَ أَكْثَرُ فِعْلِ الْإِنْسَانِ الشَّرَّ لَمَّا
 جُبِلَ عَلَيْهِ مِنَ النُّقْصَانِ؛ قَالَ تَعَالَى مَبِينًا لِمَا يُقَدِّمُ وَمَا يُؤَخَّرُ: ﴿كُلُّ
 نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (١).

وَلَمَّا كَانَ الرَّهْنُ تَارَةً يُفَكُّ وَتَارَةً يُغْلَقُ، وَكَانَ أَكْثَرُ الْخَلْقِ هَالِكًا؛
 جُعِلَ رَهِينَةً بِمَعْنَى "هَالِكَةً"، ثُمَّ اسْتَشْنَى تَعَالَى الْمَمْدُوحَ فَقَالَ: ﴿إِلَّا
 أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾؛ فَلَمَّا أَخْرَجَهُمْ عَنْ حُكْمِ الْارْتِهَانِ؛ اسْتَأْنَفَ بَيَانِ
 حَالِهِمْ فَقَالَ: ﴿فِي جَنَّتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾.

وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ فِي غَايَةِ الصُّعُوبَةِ، وَكَانَ كُلُّ أَحَدٍ مَشْغُولًا
 بِنَفْسِهِ، وَلَا عِلْمَ لَهُ بِتَفَاصِيلِ مَا يَتَّفَقُ لغيره، وَكَانَ الْمُؤْمِنُونَ إِذَا دَخَلُوا
 الْجَنَّةَ أَرَادُوا الْعِلْمَ بِمَا فُعِلَ بِأَعْدَائِهِمْ، فَتَسَاءَلُوا عَنْ حَالِهِمْ، فَكَشَفَ
 اللَّهُ لَهُمْ عَنْهُمْ حَتَّى رَأَوْهُمْ فِي النَّارِ وَهِيَ تُسَعَّرُ بِهِمْ لِيُفَرَّ اللَّهُ أَعْيُنَهُمْ
 بَعْدَابِهِمْ؛ أَخْبَرَ سَبْحَانَهُ عَنْ بَعْضِ مَا يَقُولُهُ الْمُؤْمِنُونَ لَهُمْ، فَقَالَ:
 ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾. وَهَذَا الْوَجْهُ مَبْنِيٌّ عَلَى أَنَّ الاسْتِفْهَامَ عَلَى
 حَقِيقَتِهِ، ثُمَّ أَخْبَرَ سَبْحَانَهُ عَمَّا أَجَابَ بِهِ الْمُجْرِمُونَ، فَقَالَ: ﴿قَالُوا لَمْ
 نَكُ مِنَ الْمَصْلِينَ﴾.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 70 / 21.

وَمَا نَفَوْا الصَّلَةَ بِالْخَالِقِ، أَتَبَعُوهُ إِفْسَادَ الْقُوَّةِ الْعَمَلِيَّةِ بَعْدَ وَصَلَةِ الْخَلَائِقِ بِتَرْكِ الشَّفَقَةِ عَلَى خَلْقِ اللَّهِ، فَقَالُوا: ﴿وَلَمْ نَكْ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ﴾.

فَلَمَّا سَلَبَهُمُ التَّحَلِّيَ بلباس الأولياء أثبتَ لَهُمُ التَّحَلِّيَ بلباس الأشقياء بِإِفْسَادِ الْقُوَّةِ النَّطْقِيَّةِ جَامِعًا الْقَوْلَ إِلَى الْفِعْلِ، فَقَالَ حِكَايَةً عَنْهُمْ: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾.

وَمَا كَانَ الْإِدْمَانُ عَلَى الْبَاطِلِ يَجْرُ إِلَى غَلَبَةِ الْهَزْءِ وَالسُّخْرِيَّةِ، وَغَلَبَةُ ذَلِكَ تَوْجِبُ إِفْسَادَ الْقُوَّةِ الْعَمَلِيَّةِ بِتَصْدِيقِ الْكَذِبِ وَتَكْذِيبِ الصِّدْقِ، قَالَ حِكَايَةً عَنْهُمْ: ﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ۖ حَتَّى أَتَيْنَا الْيَقِينَ﴾⁽¹⁾.

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿كَسَبْتُ﴾: (كَسَبَ) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى طَلَبٍ وَإِصَابَةٍ⁽²⁾، وَمِنْ ذَلِكَ: الْكَسْبُ، وَهُوَ مَا يَتَحَرَّاهُ الْإِنْسَانُ مِمَّا فِيهِ اجْتِلَابُ نَفْعٍ وَتَحْصِيلُ حَظٍّ، كَكَسَبِ الْمَالِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَنْفَقُوا مِنْ طَبِئَتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: 267] وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ فِيمَا يَظُنُّ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ يَجْلِبُ مَنَفْعَةً، ثُمَّ اسْتَجْلَبَ بِهِ مَضَرَّةً⁽³⁾، وَيُقَالُ: اكْتَسَبَ، أَي: تَصَرَّفَ وَاجْتَهَدَ⁽⁴⁾، وَيُقَالُ: كَسَبْتُ الرَّجُلَ خَيْرًا، وَاكْتَسَبْتُهُ إِيَّاهُ⁽⁵⁾. وَالْمُرَادُ بِالْكَسْبِ هُنَا: الْعَمَلُ⁽⁶⁾.

(2) ﴿رَهْنَةً﴾: (رَهَنَ) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى ثَبَاتِ شَيْءٍ يُمَسَّكُ بِحَقٍّ أَوْ غَيْرِهِ⁽⁷⁾، وَمِنْ ذَلِكَ يُقَالُ: رَهَنْتُ الشَّيْءَ عِنْدَ فُلَانٍ، وَرَهْنَتُهُ الشَّيْءَ، وَأَرْهَنْتُهُ إِيَّاهُ⁽⁸⁾، وَالرَّهْنُ: مَا يُوَضَعُ وَثِيقَةً لِلدِّينِ⁽⁹⁾، وَكُلُّ أَمْرٍ يُحْبَسُ بِهِ شَيْءٌ فَهُوَ رَهْنُهُ وَمُرْتَهَنُهُ، كَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ رَهْنُ عَمَلِهِ⁽¹⁰⁾. وَمَعْنَى ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهْنَةً﴾: كُلُّ نَفْسٍ مَأْخُوذَةٌ بِعَمَلِهَا إِمَّا خَلَصَهَا وَإِمَّا أَهْلَكَهَا⁽¹¹⁾.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 71 / 21 - 76.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كسب).

(3) الراغب، المفردات: (كسب).

(4) ابن سيده، للحكم والمحيط الأعظم، والزيدي، تاج العروس: (كسب).

(5) ابن منظور، لسان العرب: (كسب).

(6) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 86 / 19.

(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رهن).

(8) الجوهري، الصحاح: (رهن).

(9) الراغب، المفردات: (رهن).

(10) الأزهري، تهذيب اللغة: (رهن).

(11) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 86 / 19.

(3) ﴿الْيَمِينِ﴾: اليمينُ: ضدُّ اليسار⁽¹⁾، والجهةُ اليمُنَى: هي التي تبدأ مِنْ جَانِبِ شِقِّكَ الْأَيْمَنِ أَوْ يَدِكَ الْيُمْنَى مُبْتَعِدَةً عَلَى اسْتِقَامَةِ جَانِبِكَ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ⁽²⁾، قَالَ تَعَالَى: ﴿*وَتَرَى الشَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ تَزَوُّرَ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ [الكهف: 17]، والمراد: الجهةُ صاحبةُ اليمينِ أي: الجهةُ اليمُنَى⁽³⁾، وَسُمِّيَ الْحَلْفُ يَمِينًا؛ لِأَنَّ الْمُتَحَالِفِينَ كَانَ أَحَدُهُمَا يَصْفِقُ بِيَمِينِهِ عَلَى يَمِينِ صَاحِبِهِ⁽⁴⁾. والمرادُ بأصحابِ اليمينِ: الذين أُعْطُوا كُتُبُهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ⁽⁵⁾.

(4) ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾: (جَرم) أصلٌ يدلُّ عَلَى الْقَطْعِ⁽⁶⁾، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: تَمَرَّ جَرِيمٌ، أَي: مَقْطُوعٌ، وَشَجَرَةٌ جَرِيمَةٌ: مَقْطُوعَةٌ⁽⁷⁾، وَمَعْنَى جَرَمَ فِي قَوْلِهِمْ: لَا جَرَمَ: كَسَبَ، أَوْ جَنَى⁽⁸⁾، أَوْ حَقَّ، أَوْ وَجِبَ، أَوْ حَقًّا⁽⁹⁾، وَالْجُرْمُ: الذَّنْبُ، وَفَعْلُهُ الْإِجْرَامُ، وَالْمُجْرِمُ: الْمَذْنِبُ، وَالْجَارِمُ: الْجَانِي⁽¹⁰⁾، وَجَرِيمَةُ الْقَوْمِ: كَاسِبُهُمْ⁽¹¹⁾. والمرادُ بِالْمُجْرِمِينَ: الْقَاطِعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوَصَلَ، وَهُمْ الْمُشْرِكُونَ⁽¹²⁾.

(5) ﴿سَلَكَكُمْ﴾: (سَلَكَ) أصلٌ يدلُّ عَلَى نَفُوضِ شَيْءٍ فِي شَيْءٍ⁽¹³⁾، وَمِنْ ذَلِكَ: السُّلُوكُ، وَهُوَ النَّفَازُ فِي الطَّرِيقِ وَالْمَكَانِ، يُقَالُ: سَلَكَتُ الطَّرِيقَ وَالْمَكَانَ⁽¹⁴⁾، وَسَلَكَتُ كَذَا فِي طَرِيقِهِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۝﴾ [نوح: 20]⁽¹⁵⁾، وَيُقَالُ: سَلَكَ يَدُهُ فِي الْحَبِيبِ وَالسَّقَاءِ وَنَحْوِهِمَا يَسْلُكُهَا، وَأَسْلَكَهَا: أَدْخَلَهَا فِيهِمَا⁽¹⁶⁾. وَمَعْنَى ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾: مَا أَدْخَلَكُمْ⁽¹⁷⁾.

(1) الخليل، العين: (يمن).

(2) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: 4 / 2370.

(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 21 / 443.

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (يمن).

(5) الراغب، تفسير الراغب: 29 / 139.

(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جرم).

(7) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم: (جرم).

(8) الراغب، المفردات: (جرم).

(9) الجوهري، الصحاح، والسَّمين، عمدة الحفاظ: (جرم).

(10) الخليل، العين: (جرم).

(11) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم: (جرم).

(12) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19 / 87، والبقاعي، نظم الدرر: 21 / 72.

(13) ابن فارس، مقاييس اللغة، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (سلك).

(14) الزبيدي، تاج العروس: (سلك).

(15) الراغب، المفردات: (سلك).

(16) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم: (سلك).

(17) ابن عطية، للحرر الوجيز: 5 / 398.

(6) ﴿الْمَسْكِينُ﴾: (سكن) أصلٌ يدلُّ على خِلافِ الاضطرابِ والحركة⁽¹⁾، ومن ذلك: السُّكُونُ، وهو ثبوتُ الشيءِ بعدَ تحرُّكِ⁽²⁾، أو ثبوتهُ مِنْ غيرِ نظرٍ إلى حركةٍ سابقةٍ⁽³⁾، وَيُسْتَعْمَلُ في الاستيطانِ نحو: سكن فلانٌ مكانَ كذا، أي: استوطنَهُ، واسمُ المكانِ مسكنٌ، والجمعُ مساكنٌ، قال تعالى: ﴿لَا يُرَى إِلَّا مَسْكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: 25] والمسكينُ: هو شديدُ الفقرِ الَّذِي لا شيءَ لَهُ⁽⁴⁾، كأنَّ الفقرَ أسكنَهُ عن التَّحرُّكِ. وهو المرادُ هنا.

(7) ﴿خَوْضٌ﴾: (خوض) أصلٌ يدلُّ على تَوَسُّطِ شيءٍ ودخولِ⁽⁵⁾، ومن ذلك: الخوضُ في الماءِ، وهو الشُّرُوعُ فيه والمروءُ فيه، وَيُسْتَعْمَلُ في الشُّروعِ فيما يُدْمُ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: 65]، وقال: ﴿ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: 91]⁽⁶⁾، ويقال: خَوَّضَ الشَّرَابَ: خلطَهُ وحَرَّكَهُ، وخاوَضَهُ في البيعِ: عارضَهُ⁽⁷⁾، وخاضَ الغَمراتِ: اقتَحَمَهَا⁽⁸⁾، وتخاوَضوا في الحديثِ والأمرِ، أي: تفاوَضوا وتَدَاخَلَ كلامُهُمْ⁽⁹⁾. ومعنى ﴿نَخْوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾: نَخالطُ أَهْلَ الباطلِ في باطلِهِمْ⁽¹⁰⁾.

(8) ﴿الَّذِينَ﴾: (دين) أصلٌ يدلُّ على الانقيادِ والذَّلِّ⁽¹¹⁾، وَمِنْ ذَلِكَ يُقال: دَنَتْهُمْ فدانوا؛ أي: قَهَرْتَهُمْ فاطاعوا، والذَّيَّانِ: القَهَّارُ سبحانه⁽¹²⁾، والذَّيْنُ: الطَّاعَةُ، وَيُطْلَقُ على الجزاءِ⁽¹³⁾ والحسابِ، قال تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: 4]⁽¹⁴⁾، وعلى الشَّرِيعَةِ⁽¹⁵⁾، وعلى العادةِ،

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سكن).

(2) الخليل، العين: (سكن).

(3) السمين، عمدة الحفاظ: (سكن).

(4) الراغب، المفردات: (سكن).

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (خوض).

(6) الراغب، المفردات: (خوض).

(7) ابن سيده، الحكم والمحيط الأعظم: (خوض).

(8) الجوهري، الصحاح: (خوض).

(9) ابن منظور، لسان العرب: (خوض).

(10) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 87/19.

(11) ابن فارس، مقاييس اللغة: (زجر).

(12) ابن منظور، لسان العرب: (دين).

(13) الخليل، العين: (دين).

(14) الأزهري، تهذيب اللغة: (دين).

(15) الراغب، المفردات: (دين).

تقول: ما زال ذلك ديني وَدَيَّنِي، أي: عادتني⁽¹⁾. والمراد بيوم الدين: يوم الجزاء، وهو يوم القيامة⁽²⁾.

❁ اللَّغْنَى الإِجْمَالِيَّةُ:

المؤمنون في
نعيم والكافرون
في جحيم

يقول تعالى: كُلُّ نَفْسٍ مُّعْتَقِلَةٌ بِعَمَلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ، فَإِنَّهُمْ فِي بَسَاتِينٍ النَّعِيمِ يُسْأَلُونَ عَنْ حَالِ الْمُشْرِكِينَ، وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ وَأُولَئِكَ فِي الدَّرَكَاتِ قَائِلِينَ لَهُمْ: مَا أَدْخَلَكُمْ فِي سَقَرٍ، قَالُوا: مَا عَبَدْنَا رَبَّنَا، فَلَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ، وَلَا أَحْسَنَّا إِلَى خَلْقِهِ مِنْ جَنْسِنَا، فَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ، وَكُنَّا نُشَارِكُ أَهْلَ الْبَاطِلِ فِي بَاطِلِهِمْ، وَنُحَارِبُ الْحَقَّ وَأَهْلَهُ، وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ حَتَّى أَتَانَا الْمَوْتُ أَوْ تَصَدِّقُ مَا كُنَّا نَكْذِبُ بِهِ فِي الدُّنْيَا⁽³⁾.

❁ الإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

نَكْتَةُ فَصْلِ الْآيَةِ عَمَّا قَبْلَهَا:

كُلُّ إِنْسَانٍ رَهْنٌ
بِمَا كَسَبَ مِنْ
التَّقْدُمِ أَوْ التَّأَخُّرِ

فُصِّلَ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ عَمَّا قَبْلَهُ؛ لِأَنَّهُ اسْتِثْنَاءٌ بَيَانِيٌّ يُبَيِّنُ لِلسَّمَاعِ عُقْبَى الْإِخْتِيَارِ الْمَذْكُورِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾، أَي: كُلُّ إِنْسَانٍ رَهْنٌ بِمَا كَسَبَ مِنَ التَّقْدُمِ أَوْ التَّأَخُّرِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، فَهُوَ عَلَى نَفْسِهِ بِصِيرَةٌ لِيَكْسَبَ مَا يُفْضِي بِهِ إِلَى النَّعِيمِ أَوْ إِلَى الْجَحِيمِ⁽⁴⁾.

نَكْتَةُ تَصْدِيرِ الْآيَةِ بِلَفْظِ الْعُمُومِ ﴿كُلُّ﴾:

الرَّهْنُ شَامِلٌ
لِكُلِّ النَّفْسِ

صُدِّرَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ بِلَفْظِ الْعُمُومِ ﴿كُلُّ﴾ الْمُضَافِ إِلَى ﴿نَفْسٍ﴾ النُّكْرَةِ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى شُمُولِ حُكْمِ الرَّهْنِ

(1) الأزهري، تهذيب اللغة: (دين).

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 88 / 19.

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 273 / 8.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 324 / 29.

لكلِّ نفس⁽¹⁾، ذكرٍ أو أنثى⁽²⁾، والمعنى: كلُّ نفسٍ مرتَهنةٌ بكسبِها عند الله غيرُ مفكوكَةٍ عنه⁽³⁾.

ويحتملُ أن يكونَ قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ مرادًا به خُصوصُ أنفُسِ الكافرينَ من البشرِ، فهو من العامِّ المُراد به الخُصوص بقريته ما تُعطيه مادَّةُ رهينةٍ من معنى الحبسِ والأسر⁽⁴⁾.

معنى الباءِ في ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾:

الباءُ في قوله ﷻ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةً﴾ للمُصاحبة⁽⁵⁾، أي: كلُّ نفسٍ رهينةٌ مصحوبةٌ بكسبِها. ويجوزُ أن تكونَ سببيَّةٌ، بمعنى: أنَّ كلَّ نفسٍ مرهونةٌ بسببِ ما كسبت.

معنى (ما) في ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾:

(ما) في قوله ﷻ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةً﴾ موصولةٌ تُفيدُ العمومَ، والمعنى: كلُّ نفسٍ رهينةٌ مصحوبةٌ بجميعِ ما كسبتَه من الأعمالِ والأقوالِ ونحو ذلك، أحصاهُ الله تعالى عليها. ويحتملُ أن تكونَ مصدريةً، والمعنى: كلُّ نفسٍ بكسبِها رهينة.

نكتةُ التعبيرِ بالماضي في ﴿كَسَبَتْ﴾:

جيءَ بصيغةِ الماضي في قولِ الباري ﷻ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةً﴾؛ لأنَّ المُرادَ ما كسبتَه كلُّ نفسٍ في الدُّنيا التي هي دارُ السَّعيِ والعملِ، وهو ماضٍ بالنسبةِ ليومِ القيامةِ الَّذي هو زمنُ الحسابِ والجزاء. فالماضي يدلُّ على انقضاءِ العملِ ووقوعه، وتحقيقه.

غرضُ تقديمِ ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾:

قُدِّمَ ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ على ﴿رَهِينَةً﴾ في قوله جلَّ ذِكْرُه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ

الرَّهْنُ خَاصٌّ
بِالْكَافِرِينَ

كُلُّ نَفْسٍ
مَصْحُوبَةٌ
بِكَسْبِهَا فِي
الرَّهْنِ

كُلُّ نَفْسٍ
مَصْحُوبَةٌ
بِجَمِيعِ عَمَلِهَا

كَسَبُ الْإِنْسَانِ
يَكُونُ فِي الدُّنْيَا
الَّتِي هِيَ دَارُ
الْعَمَلِ

الْمَرْءُ مَسْئُولٌ
عَنْ كَسْبِهِ لَا عَنْ
كَسْبِ غَيْرِهِ

(1) أبو حيان، البحر الحيط: 337/10.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 70/21.

(3) الراعي، تفسير الراعي: 140/29.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 324/29.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 324/29.

بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةً؛ لإفادة الحصر والتخصيص، والمعنى: كل نفس رهينة بما كسبت خاصة لا بما كسب غيرها⁽¹⁾.

بلغة التعبير بالرهن:

الرهء ملازم
مقارن لعمله
يوم القيامة

الرهن: الوثاق والحبس، ومنه الرهن في الدين، وقد يطلق على الملازمة والمقارنة، ومنه قولهم: فرسا رهان، وكلا المعنيين يصح الحمل عليه في قوله تعالى هنا: **﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾** على اختلاف الحال، وإنما يكون الرهن لتحقيق المطالبة بحق يخشى أن يتفلت منه المحقوق به، فالرهن مشعر بالأخذ بالشدّة، ومنه رهائن الحرب الذين يأخذهم الغالب من القوم المغلوبين ضمناً؛ لئلا يخل القوم بشروط الصلح، وحتى يعطوا ديات القتلى، فيكون الانتقام من الرهائن، ومادة **﴿رَهِينَةٌ﴾** من معنى الحبس والأسر⁽²⁾.

بلغة الاستعارة في جملة **﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾**:

نفس المكلف
كالمحبوسة حتى
تؤدي التكاليف

في قوله: **﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾** استعارة تمثيلية؛ فإن نفس المكلف كالمحبوسة الكائنة عند الله بما أوجبه عليه والتزمه العبد من التكاليف التي هي حق خالص له تعالى، فالنفس مرهونة عند الله، وتخليصها إنما هو بأداء المكلف تلك التكاليف كما وجبت، وإلا بقيت نفسه مرهونة محبوسة تحت قهر الله تعالى، فتهلك هلاكاً سرمدياً، كما هلك المرهون ولم يصل إلى الراهن إذا لم يؤد حق المرتهن⁽³⁾.

سر إيتار **﴿رَهِينَةٌ﴾**:

رعاية البالغة في
المعنى أولى من
رعاية التألؤم
اللفظي

﴿رَهِينَةٌ﴾ في قوله تعالى شأنه: **﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾** مصدر بمعنى الرهن، كالشئمة بمعنى الشتم، لا صفة، وإلا لقال:

(1) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 70 - 71.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 324.

(3) القنوي، حاشية على تفسير البضاوي: 19/ 435.

رهين؛ لأنَّ فِعْلاً بمعنى مفعول لا يدخله التَّاء، ويستوي فيه المذكر والمؤنث. واختير على (رهين) مع موازنته لـ (اليمين) وعدم احتياجه للتأويل؛ لأنَّ المصدر هنا أبلغ - لأنَّ الوصف بالمصدر يُفيد المبالغة - فهو أنسب بالمقام، فلا يُلتَفْتُ للمناسبة اللفظية فيه⁽¹⁾.

ويجوز أن تكون الهاء في ﴿رَهِيْنَةً﴾ للمبالغة، بمعنى موثقةً إيثاقاً بليغاً، محبوسةً حبساً عظيماً، فهي في النار⁽²⁾. ويحتمل أن تكون ﴿رَهِيْنَةً﴾ ممَّا غلبَ عليه الاسميَّة كالنَّطِيحة، وإن كانت في الأصل فِعْلاً بمعنى مفعول⁽³⁾.

غرض تكبير ﴿رَهِيْنَةً﴾:

تكبير ﴿رَهِيْنَةً﴾ في قوله تعالى ذكره: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةً﴾ للتفخيم والتعظيم، أي: رهينة عظيمة الشأن، وفي ذلك حثٌّ على الاستعداد ليوم الحساب والجزاء، والأخذ بأسباب النجاة.

دلالة الاستثناء في ﴿إِلَّا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾:

يحتمل أن يكون الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ متَّصلاً، والمرادُ بهم المسلمون الخالصون الصالحون⁽⁴⁾، وهم الذين تحيَّزوا إلى الله، فائتمروا بأوامره، وانتهوا بنواهيهِ، فإنَّهم لا يُرْتَهَنُونَ بأعمالهم، بل يرحمهم الله، فيقبلُ حسناتهم، ويتجاوز عن سيئاتهم⁽⁵⁾.

ويحتمل أن يكون منقطعاً، والتقدير: لكن أصحاب اليمين، والمرادُ بهم الأطفالُ أو الملائكة.

كلُّ نفسٍ موثقةٌ
إيثاقاً بليغاً

العاقلُ يستعدُّ
ليوم الحساب

أهل الإيمانِ
والصَّلاحِ
لا يُرْتَهَنُونَ
بأعمالهم

(1) الألوسي، روح المعاني: 15 / 146.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 21 / 71.

(3) أبو حيان، البحر للحيط: 10 / 337.

(4) السمين، الدر للصون: 10 / 555.

(5) البقاعي، نظم الدرر: 21 / 71.

نكتة الإضافة في ﴿أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾:

عظمة شأن أهل
الخير والصلاح
يوم القيامة

الإضافة في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ لامية، والمعنى: أصحاب اليمين، وذلك باعتبار أخذهم كتبهم بأيمانهم أو نحو ذلك، ولا تخلو هذه الإضافة من تعظيم شأن المضاف باعتبار إضافته إلى جهة اليمن والبركة.

نكتة التعبير بالأصحاب:

ملازمة المؤمنين
للجهة الشريفة

عبر عن أهل الخير والصلاح بلفظ الأصحاب في قوله جل من قائل: ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾؛ للدلالة على مقارنتهم لليمين؛ كمقارنة الصاحب صاحبه، وفي ذلك مزيد تشريف وتعظيم لهم.

دلالة تعريف اليمين:

أهل الجنة أهل
المكارم والكرامة

تعريف اليمين في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ للجنس؛ لأن المراد بها الجهة المعلومة، وأصحاب اليمين هم أهل الخير، جعلت علاماتهم في الحشر بجهات اليمين في مناولة الصحف وفي موقف الحساب وغير ذلك، فاليمين هو جهة أهل الكرامة في الاعتبار، كجهة يمين العرش، أو يمين مكان القدس يوم الحشر، لا يحيط بها وصفنا، وجعلت علامة أهل الشر الشمال في تناول صحف أعمالهم وفي مواقفهم وغير ذلك⁽¹⁾.

بلاغة موقع ﴿فِي جَنَّتٍ﴾ مِنْ حَيْثُ الْإِعْرَابُ:

بيان حال
المستثنى من
الرهن

قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّتٍ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، والجملة استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ ممّا قبله من استثناء أصحاب اليمين، كأنه قيل: ما بالهم؟ فقيل: هم في جنّات⁽²⁾، ولا يخفى ما في الاستئناف البياني من بلاغة الربط بين أجزاء الكلام، و﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ حال من الضمير المحذوف⁽³⁾.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 325 / 29.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 61 / 9، والشوكاني، فتح القدير: 399 / 5.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 325 / 29.

ويجوزُ أن يكون قوله: ﴿فِي جَنَّتٍ﴾ متعلقًا بقوله: ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾، قُدِّمَ عليه للاهتمام، ولرعاية الفاصلة، و﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ حالٌ من أصحاب اليمين، وهو مناطُ التفصيل الذي جيء لأجله بالاستثناء⁽¹⁾.

دلالة حرفِ الظرفيةِ ﴿فِي﴾:

الإتيانُ بحرفِ الظرفيةِ ﴿فِي﴾ قولُ الباري ﷻ: ﴿فِي جَنَّتٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾؛ للدلالة على أنَّ جَنَّتِ النِّعَمِ محلُّ كرامةِ المؤمنين، يتقلبون في ألوانِ نعيمِها في القصور والبساتين وغير ذلك ممَّا هيَّاه الله تعالى لهم.

نكتةُ جمعِ الجنَّاتِ وتنكيرها:

تنكيرُ الجنَّاتِ في قول الحقِّ جلَّ ذِكْرُه: ﴿فِي جَنَّتٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ لتعظيم الجنَّاتِ، أي: هُم في جنَّاتٍ لا يُكْتَنُّه وصفُها⁽²⁾، وجمْعُها لانقسام الآحاد إلى الآحاد⁽³⁾، فهي جنَّاتٌ وبساتينٌ كثيرة، تتعدَّد بتعدُّدِ أهل النِّعَمِ، ولكلِّ واحدٍ منهم بساتينٌ وقصورٌ كثيرةٌ وألوانٌ كثيرةٌ من النِّعَمِ.

بلادةُ الاحتباكِ في ﴿فِي جَنَّتٍ﴾:

قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّتٍ﴾ معناه: في بساتين؛ لأنَّهم أطلقوا أنفُسَهم، وفكَّوا رقابَهم، فلم يُرْتَهَنُوا، فالآية من الاحتباك: أثبتَ أوَّلًا الارتهانَ دليلًا على حذفِ ضدِّه ثانيًا، وأثبتَ ثانيًا الجنَّةَ دليلًا على حذفِ ضدِّها أوَّلًا⁽⁴⁾.

بلادةُ التعبيرِ بالتساؤلِ:

عبرَ بالتساؤلِ في قوله ﷻ: ﴿فِي جَنَّتٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾؛ للتعبير عن راحة أهل الجنَّات؛ لأنَّ السُّؤال عن حال الغير يدلُّ دلالةً واضحةً على الرَّاحة والفراغِ عن كلِّ ما يهَمُّ النفس⁽⁵⁾.

جَنَّتِ النِّعَمِ
مقامُ أهلِ الخيرِ
والصَّلاحِ

كثرةُ الجنَّاتِ
وعِظَمُ شأنِها
من المَكْرَماتِ

أهلُ النِّعَمِ
فكَّوا رهانَهم،
وأهلُ الجحيمِ
لم يَفكَّوه

سؤالُ المؤمنين
دليلٌ على
راحتهم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 325 / 29.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 715 / 30.

(3) القنوي، حاشية على تفسير البضاوي: 435 / 19.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 72 / 21.

(5) البقاعي، نظم الدرر: 72 / 21.

دلالة التعبير بالمضارع في ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾:

تساؤل أهل
الجنة فيه غرابة
وعجزة

جاء بصيغة المضارع في قول الحق ﷻ: ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ لتصوير الحدث وكأنه يقع الآن، وذلك لأن هذا التساؤل فيه غرابة، فاستدعى ذلك أن يُلَفَّتَ له نظرُ السامع لأخذ العِظة والعبرة، والحذر من أن يكون من أصحاب الجحيم.

نكتة صيغة التفاعل في ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾:

سؤال أصحاب
اليمن بعضهم
بعضاً عن شأن
المجرمين

يجوز أن يكون ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ على ظاهر صيغة التفاعل؛ للدلالة على صدور الفعل من جانبين، أي: يسأل أصحاب اليمن بعضهم بعضاً عن شأن المجرمين، وتكون جملة ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ بيانا لجملة ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾، وضمير الخطاب في قوله: ﴿سَلَكَكُمْ﴾ يؤذن بمحذوف، والتقدير: فيسألون المجرمين: ما سَلَكَكُمْ في سقر؟ وليس التفتاتا، أو يقول بعض المسؤولين لأصحابهم جواباً لسائلهم: قلنا لهم: ما سَلَكَكُمْ في سقر؟.

تعدد السؤال
لأجل تعدد
السائلين

ويجوز أن تكون صيغة التفاعل مستعملة في معنى تكرير الفعل، أي: يكثر سؤال كل أحد منهم سؤالاً متكرراً، أو هو من تعدد السؤال لأجل تعدد السائلين، وعلى هذا يكون مفعول ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ محذوفاً يدل عليه قوله: ﴿عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾، والتقدير: يتساءلون المجرمين عنهم، أي: عن سبب حصولهم في سقر، ويدل عليه بيان جملة ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ بجملة ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾؛ فإن ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ بيان للتساؤل⁽¹⁾.

نكتة التعبير بالإجرام:

أهل سقر
أصحاب شرك
وذنوب

عبر بالإجرام في قوله ﷻ: ﴿عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾؛ للدلالة على أنهم أصحاب ذنوب؛ لأن الإجماع فعل الجرم، وهو الذنب، وأجرم معناه: صار ذا جرم، وأعظم الذنب الإشراك بالله تعالى، وفي استحضارهم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 325 / 29 - 326.

بهذه الصِّفة إشارةً إلى عِلَّةِ سَلَكِهِمْ في سَقَرٍ، واستحقاقِهِمْ ما هُمْ فيه من ألوانِ العذابِ الأليم؛ لأنهم بذُنُوبِهِمْ قطعوا الصِّلَةَ بالله تعالى⁽¹⁾.

نكتةٌ صيغة اسمِ الفاعل في «الْمُجْرِمِينَ»:

جاء بصيغة اسمِ الفاعلِ المَجْمُوعِ في قوله جَلَّ ذِكْرُهُ: «عَنِ الْمُجْرِمِينَ»؛ للدلالة على رُسُوخِهِمْ في الإِجْرَامِ⁽²⁾، وأنَّه صار بمنزلة صفةٍ من صفاتهم الجبليَّةِ التي لا تُفارقُهُمْ، ولا شكَّ أنَّ مَنْ كان الإِجْرَامُ دَيْدَنَهُ فالنَّارُ أولى به.

مَنْ كَانَ الْإِجْرَامُ
دَيْدَنَهُ فَالنَّارُ
أُولَى بِهِ

دلالة تعريف «الْمُجْرِمِينَ»:

إن كان السُّؤالُ في قوله تعالى: «مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ» على حقيقته، والاستفهامُ مستعملاً في أصلِ معناه؛ كان الباعثُ على السُّؤالِ: إمَّا نسيانَ الَّذِي كانوا عِلْمُوهُ في الدُّنْيَا من أسبابِ الثَّوابِ والعقابِ، فيبقى عمومُ «يَتَسَاءَلُونَ» الرَّاجِعُ إلى أصحابِ اليمينِ، وعمومُ المجرمين على ظاهره، فكلُّ من أصحابِ اليمينِ يُشْرِفُ على المجرمين من أعالي الجنَّةِ، فيسألهم عن سببِ دخولهم النَّارِ، فيحصل جوابُهُمْ، وذلك إلهامٌ من الله ليحمدهُ أهلُ الجنَّةِ على ما أخذوا به من أسبابِ نجاتِهِمْ. وإمَّا أن يكون سؤالاً موجَّهاً من بعض أصحابِ اليمينِ إلى ناسٍ كانوا يظنُّونهم من أهلِ الجنَّةِ، فأروهم في النَّارِ، من المنافقين أو المرتدِّين بعد موتِ أصحابِهِمْ، فيكون المرادُ بأصحابِ اليمينِ بعضُهم وبالمجرمين بعضُهم.

السُّؤالُ عن
المجرمين جميعاً
أو عن مجرمين
مخصوصين

وإن كان السُّؤالُ ليسَ على حقيقته، وكان الاستفهامُ مستعملاً في التَّنْذِيمِ أو التَّوْبِيخِ فعمومُ أصحابِ اليمينِ وعمومُ المجرمين على حقيقته⁽³⁾.

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 87/19، والبقاعي، نظم الدرر: 72/21.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 72/21.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 326/29 - 327.

عِلَّةُ فَصْلِ ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾:

سؤال المؤمنين
مقترن بخطاب
المشركين

قوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ على إضمار القول، وذلك القول في موضع الحال، أي: يتساءلون عنهم قائلين لهم: أي شيء أدخلكم فيها؟ ولذلك فُصِلَتْ هذه الجملة عما قبلها⁽¹⁾.

غرض الاستفهام في ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾:

المُجرمون
حقيقون
بالنوبخ
والتحسير

الظاهر أن الاستفهام في قوله ﷻ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ ليس على حقيقته؛ لأنَّ السَّائِلِينَ عالمون بحال ما يسألون عنه، وإنما هو لتوبيخ المجرمين وتحسيرهم، ولتكون حكاية الله ذلك في كتابه تذكرةً للسامعين⁽²⁾.

غربة حال من
كان يُظنُّ من
أهل الجنة فكان
من أهل النار

ويحتمل أن يكون السؤال على حقيقته، والاستفهام مُستعملاً في أصل معناه وفاقاً ما مرَّ ذكره⁽³⁾.

نكتة التعبير بلفظ ﴿سَلَكَكُمْ﴾ ماضياً:

إدخال المجرمين
النار قبل سؤال
أهل الجنة
عنهم

التعبير بلفظ (سلك) في قوله ﷻ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ يدلُّ على أن إدخال المجرمين إدخالاً هو في غاية الضيق حتى كأنهم السلك في الثقب⁽⁴⁾. وجيء بصيغة الماضي؛ لأنَّ سَلَكَهُمْ في سقر - وهو إدخالهم فيها - أمرٌ قد مضى وتحقَّق قبل سؤال أهل الجنة عنهم.

دلالة حرف الظرفية ﴿فِي﴾:

مقام المجرمين في
النار مستفطع

جاء بحرف الظرفية في قوله ﷻ: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾؛ للدلالة على أن سقر هي محلُّ المجرمين، ومقامهم الذي أدخلوا فيه، وهي محلُّ الويل والثبور الذي يُستعظم شأنُ داخله ويُستفطع.

(1) السمين، الدر المنون: 10/ 556، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 62.

(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 655، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 30/ 716.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 326 - 327.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 73.

علّة فصل جملة ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾:

فُصِّلَ قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ عمّا قبله؛ لما بينهما من شبه كمال الاتّصال؛ لأنّ هذه الجملة استئناف بيانيّ جواباً عن سؤال السّائل: ما كان جوابُ المجرمين بعد سؤال المؤمنين عن سبب إدخالهم النار؟ ف قيل: (قالوا ...).

بيان جواب
المجرمين عن
سؤال المؤمنين

بلغة التعبير بالماضي في ﴿قَالُوا﴾:

جاء بصيغة الماضي في قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ جرياً على عادة القرآن في ذكر أحداث المستقبل بصيغة الماضي أحياناً؛ تنبيهاً على تحقيقها، وأنها لا يمكن أن تتخلف.

تحقق ما أخبر
الله تعالى به

علّة حذف النون من ﴿لَمْ نَكُ﴾ في الوضعين:

حذف النون من ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾، و﴿وَلَمْ نَكُ نُنْظِمُ الْمُسْكِينَ﴾ دلالة على ما هم فيه من الضيق عن النطق حتّى بحرف يمكن الاستغناء عنه، ودلالة على أنّه لم يكن لهم نوع طبع جيّد يحثهم على الكون في عداد الصّالحين، وذلك يُشير إلى عظيم ما هم فيه من الدّواهي الشّاغلة، وذلك بضدّ ما فيه أهل الجنّة من الفراغ الحامل لهم على السُّؤال عن أحوال غيرهم، وذلك منبّه على فضيلة العلم⁽¹⁾.

ضيق حال
المجرمين عن
إتمام الكلام

دلالة التعبير بفعل الكون المضارع المنفي:

جاء بالفعل المضارع المنفيّ في قوله جلّ ذكره: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾؛ للإيذان باستمرار انتفاء كونهم من المصلّين، والإيذان بأنّ عدم الصّلاة كان ديدنهم ومُتجدّداً منهم طول حياتهم، فحرّموا أنفسهم من التّقرب إلى الله⁽²⁾.

جرمان المجرمين
أنفسهم من
التّقرب إلى الله

(1) البقاعي، نظم الدرر: 21 / 74 - 75.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29 / 327 - 328.

معنى ﴿مِنْ﴾:

المجرمون غير
مندرجين في
زمن أهل الإيمان
والطاعة

﴿مِنْ﴾ في قول الحق ﷻ: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ للتبويض، والمعنى: لم نك من جملة المصلين، ولم ندرج في زمّرتهم، وفي ذلك ما لا يخفى من الخيبة والخسران؛ فقد تخلّفوا عن ركب أهل الإيمان والطاعة والقرب من الله ﷻ.

دلالة تعريف المصلين:

تعريف المصلين في الآية: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ للجنس الشامل للمصلين من أهل الإيمان والتوحيد، والمعنى: لم ننخرط في سلك المصلين، ولم ندرج في صفوفهم.

بلاغة حذف مفعول ﴿الْمُصَلِّينَ﴾:

ترك المجرمين
الصلاة الواجبة

في قوله تعالى: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ إيجازٌ بحذف مفعول اسم الفاعل؛ لظهوره من المقام، والتقدير: لم نك من المصلين الصلاة الواجبة⁽¹⁾؛ إذ هي التي يحاسب العبد على تركها والتفريط بها.

سرّ إثارة تعبير ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ دون غيره:

استمرار استكبار
المجرمين عن
التقرب إلى الله
تعالى

قيل: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾، ولم يُقل: (لم نصل) أو (لم نك نصلي)؛ لأنّ النظم الكريم أبلغ؛ لدلالته على دوام تركهم للصلاة⁽²⁾ كما تقدّم، وذلك أنسب بمقام التنصيص على أسباب إدخال المجرمين النار؛ فهو ناتج عن كبر وعناد دائمين، واستكبار عن الخضوع لله ﷻ والتقرب إليه.

سرّ تقديم ترك الصلاة على غيره من الأسباب:

الصلاة أعظم
الأعمال،
وصلاحها صلاح
سائر العمل

تقديم ترك الصلاة على غيره من أسباب إدخال المجرمين النار في قوله تعالى: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾؛ تنبيهه على أنّ رسوخ القدم في الصلاة مانع من مثل حالهم، وعلى أنّهم يُعاقبون على

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 263.

(2) القنوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 19/ 437.

فروع الشريعة - عند بعض الفقهاء - وإن كانت لا تصحُّ منهم، فلو فعلوها قبل الإيمان لم يُعتدَّ بها، وعلى أنَّ الصَّلَاةَ أعظمُ الأعمال، وأنَّ الحسابَ بها يُقدَّم على غيره⁽¹⁾.

نكتة عطف ﴿وَلَمْ نَكُ﴾ بالواو:

عُطِفَ قوله تعالى: ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ﴾ على ما قبله بالواو التي تقتضي المغايرة؛ لذكر سببٍ آخر من أسباب إدخال المجرمين النار، ومن لطائف هذا العطف: ذكْرُ قَطْعِهِم الوصلة بالخلأثق بعد ذكْر قَطْعِهِم الوصلة بالخالق⁽²⁾، وفي ذلك ما لا يخفى من التنبية على فرط غلوهم في الكفر والعناد؛ فلم يكتفوا بترك الطاعة لله تعالى، بل ضَمُّوا إلى ذلك ترك الإحسان إلى الخلق.

نكتة التعبير بالكون المنفي في ﴿وَلَمْ نَكُ﴾:

جاء بفعل الكون المضارع المنفي في قوله ﷻ: ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ﴾؛ للتنبيه على استمرار تركهم إطعام المسكين⁽³⁾، وأنَّ ذلك كان عادتهم وديدنهم طول حياتهم، وذلك اعتداءً على ضَعْفاء الناس بمنعهم حقهم في المال⁽⁴⁾.

دلالة التعبير بالفعل ﴿نُطْعِمُ﴾ مضارعاً:

الإطعام هنا يَشْمَلُ - فضلاً عن معناه الحقيقي - أيفاء حق المسكين من الأموال زكاةً، وصدقةً، وغيرهما ليتيسر لهم الطَّعام، والشَّراب⁽⁵⁾. ويومئ صَوْغُ الفعل مضارعاً أنَّ إتيان فعل الإطعام بقلَّةٍ من غير إدامته والاستمرار عليه عملٌ غير مرضيٍّ عنه، فكيف بالامتناع عنه.

جمعُ المجرمين
بين تركِ الطَّاعةِ
لله وتركِ
الإحسانِ إلى
الخلق

منعُ المجرمين
ضَعْفاءَ النَّاسِ
حقَّهم في المال

الثَّوابُ المحمودُ
مَنَاطُ الإدامةِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 75 / 21.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 75 / 21.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 62 / 9.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 328 / 29.

(5) قباوة، الفضل في شرح الجلالين: ص 2046.

دلالة تعريف «الْمَسْكِينِ»:

تعريف «الْمَسْكِينِ» في قوله ﷺ: «وَلَمْ تَكْ نُطْعِمُ الْمَسْكِينِ» للجنس، والمراد أنهم كانوا لا يُطعمون المساكين الذين كانوا في ديارهم ونحوها ممن لهم اختلاط بهم.

بلاغة العطف بالواو:

جمعُ الجرمين
بين قُبْحِ الفعلِ
وقُبْحِ القولِ

قوله تعالى: «وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ» معطوفٌ على ما قبله بحرف الواو الدالّ على المُغايرة؛ لذكر سبب آخر من أسباب إدخالهم النارَ. ومن لطائف هذا العطف: بيان أنهم جمَعوا بين قُبْحِ الفعلِ وقُبْحِ القولِ، وذكر أنهم قد تحلّوا بلباس الكفرة الأشقياء بعد ذكر أنهم لم يتحلّوا بلباس المؤمنين الأولياء⁽¹⁾.

نكتة الجمع بين الكون الماضي والمضارع:

استمرارُ
الجرمين في
مُعَاداةِ الحقِّ
وأهله

إدخال فعل الكون الماضي على المضارع في قوله ﷺ: «وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ»؛ للتّنبية على أنّ الخوض كان عادةً مستمرةً لهم، حتّى كأنّه جبلّةٌ وطبيعةٌ راسخةٌ فيهم⁽²⁾؛ فهم طوّال حياتهم لم يتركوا مُعاداة الحقِّ، وتأييد الشّرك، وأذى الرّسول ﷺ والمؤمنين⁽³⁾.

بلاغة اللّجاز في التّعبير بالخوض:

مُلابسةُ الجرمين
للباطل مُلابسةً
شديدةً

أصلُ الخوض الدُّخولُ في الماء والمُرورُ فيه، ويُستعار كثيراً للمُحادثة المتكرّرة، وقد اشتهر إطلاقه في القرآن على الجدال واللّجاج غير المحمود، قال تعالى: «ثُمَّ دَرَّهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ» ﴿١١﴾ [الأنعام: 91]، والمراد به في قوله تعالى هنا: «وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ»: الشُّروع في الباطل، وذلك على سبيل المجاز المُرسَل أو الاستعارة⁽⁵⁾، وفي ذلك إشارةٌ إلى شدّة مُلابستهم للباطل كمُلابسة

(1) البقاعي، نظم الدرر: 21 / 75.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 21 / 75 - 76.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29 / 327.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29 / 327.

(5) الألوسي، روح المعاني: 15 / 147.

الخائض للماء، وباطلهم هو تكذيب الحق، ووصف القرآن بأنه سحرٌ أو شعرٌ أو كهانةٌ أو نحو ذلك، ووصف النبي ﷺ بأنه ساحرٌ أو مجنونٌ، ومحاربة أتباعه المؤمنين.

دلالة ﴿مَعَ﴾:

يدلُّ التعبير بحرف المعية ﴿مَعَ﴾ في قوله جلَّ ذكره: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ على أنهم كانوا يُصاحبون أهلَ الباطل باستمرار، ويُشاركونهم في كلِّ ما فيه ضررٌ بالإسلام وأهله، وفي ذلك إيماءٌ إلى اجتماعهم بأقرانهم وأضرابهم من المفسدين، وأنَّ أهلَ الباطل كانوا يتفقون على مُحاربة الحق وأهله.

نكتة تعريف ﴿الْخَائِضِينَ﴾، وصوغه اسم فاعل:

تعريف ﴿الْخَائِضِينَ﴾ في قول الحق جلَّ من قائل: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ للجنس، والمراد أنهم كانوا يخوضون مع جنس الخائضين، أي: مع أهل الباطل الذين على شاكلتهم من أبناء أقوامهم؛ للدلالة على رُسوخهم في فعلهم الباطل، وإصرارهم عليه.

براعة الجناس في ﴿نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾:

بين ﴿نَخُوضُ﴾ و﴿الْخَائِضِينَ﴾ في قوله ﷺ: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ جناسُ الاشتقاق، وهو من ألوان التناغم الصوتي بين ألفاظ الآية. وصوغه على هذا الفن ترسيخٌ لفعلهم الباطل، وتماديهم فيه مع قرنائهم من أهل الباطل.

نكتة عطف ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بَيِّومَ الدِّينِ﴾ بالواو:

قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بَيِّومَ الدِّينِ﴾ معطوفٌ على ما قبله بالواو لذكر سببٍ آخر من أسباب إدخال المجرمين النار. ومن لطائف هذا العطف: بيان أنَّ استمرارهم على الباطل وإدماَنهم

مشاركة
المجرمين أهل
الباطل في
محاربة الحق
باستمرار

أهل الباطل
يختلطون
بمن هم على
شاكلتهم

التناغم الصوتي
بين ألفاظ الآية

المعصية تجرُّ
إلى معصية أكبر
وأفحش

عليه جرّ إلى غلبة الهزء والسُّخرية عليهم، وذلك يوجبُ إفسادَ
القوّة العلميّة بتصديقِ الكذبِ وتكذيبِ الصّدق⁽¹⁾.

بلاغة إدخال الكون الماضي على المضارع:

إدخالُ فعلِ الكونِ الماضي على المضارع في قوله ﷻ: ﴿وَكُنَّا
نُكَذِّبُ يَوْمَ الدِّينِ﴾؛ للتّنبية على أنّ التّكذيبَ بيومِ الدّينِ كان
عادةً مستمرةً لهم، حتّى صار وصفاً ثابتاً لهم⁽²⁾، وقد كانوا يُكرّرون
الاستهزاء بالبعث والنّشور والحساب والجزاء في كلّ مقامٍ من
مقاماتِ كِبَرِهِمْ وعِنادِهِمْ.

معنى الباء في ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾:

الباءُ في قوله ﷻ: ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ يَوْمَ الدِّينِ﴾ للتّعديّة، فتفيد أنّ
يومَ الحساب والجزاء متعلّقٌ تكذيبِ المشركين.

سرّ الاختصار على ذكر التّكذيبِ بيومِ الدّينِ:

اقتصرَ على ذكر التّكذيبِ بيومِ الدّينِ في قوله ﷻ: ﴿وَكُنَّا
نُكَذِّبُ يَوْمَ الدِّينِ﴾ مع أنّ المجرمين كانوا يُكذّبون بكلّ ما جاء به
النّبيّ ﷺ؛ لأنّه من الأمور العظيمة التي كانوا يُكذّبونها ويستبعدونها
غايةً الاستبعاد، وقد تكرّرَ على ألسنتهم استبعادُ بعثهم وبعثِ آبائهم
يومَ القيامة، ولأنّ قولهم: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ يشتملُ على
وجوهٍ محاربةٍ الحقِّ وأهله، ومن ذلك تكذيبُ النّبيّ ﷺ والقرآنِ
ونحو ذلك.

دلالة الإضافة في ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾:

إضافة اليوم إلى الجزاء في قوله ﷻ: ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ يَوْمَ
الدِّينِ﴾ لأدنى ملابسة - أي: أقلّ ارتباط - وهو وقوعُ الجزاء في هذا
اليوم. وإنّما أضافوه إلى الجزاء مع أنّ فيه من الدّواهي والأهوال

تكرار إنكار
المجرمين للقيامة
والحساب
والجزاء

الحساب
والجزاء ممّا
استبعدّه
المشركون

الحساب أدهى
أهوال القيامة

(1) البقاعي، نظم الدرر: 76 / 21.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 76 / 21.

ما لا غاية له؛ لأنه أدهاها وأهولها، ولأنهم مُلَابِسُوهُ، وقد مضت بقیة الدواهي⁽¹⁾.

نکته تعریف «الدین»:

الظاهر أن تعريف «الدین» في قوله ﷺ «وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ» للعهد؛ لأن المراد به الحساب والجزاء الذي يكون يوم القيامة، بحيث لا يتبادر الذهن إلى غيره؛ إذ هو الحساب الأكبر الأعظم الذي لا حساب يُدانيه، وهو المقصود في لسان الشرع.

سر تأخير التّكذيب بيوم الدين:

تأخير جنائتهم التي هي التّكذيب بيوم الدين مع كونها أعظم من الكل؛ لتفخيمها، كأنهم قالوا: وكنا بعد ذلك كله مكذّبين بيوم الدين، ولبیان كون تكذيبهم به مقارناً لسائر جنایاتهم المعدودة، مستمراً إلى آخر عمرهم⁽²⁾.

وأيضاً في البداءة بالعمل تنبيهه على أنه يجب على العاقل المبادرة إلى ما يأمره به الصادق؛ لأن العمل هو المصدق لحسن الاعتقاد، والمبادرة إلى التلبس بالعمل أسهل من المبادرة إلى التلبس بالعلم؛ ففيه حث على المسابقة إلى الأعمال الصالحة وإن لم تكن النية خالصة، وإيدان بأن من أدمن ترك الأعمال فاده إلى الانسلاخ من حسن الاعتقاد، وورطه في الضلال⁽³⁾.

معنى «حَتَّى» في «حَتَّى أَتُنَّا الْيَقِينَ»:

«حَتَّى» في قوله تعالى: «حَتَّى أَتُنَّا الْيَقِينَ» لانتهاء الغاية، والمعنى: إننا بقينا على إنكار القيامة إلى وقت الموت⁽⁴⁾، وهذا التّكذيب مقارن لسائر جنایاتهم المعدودة⁽⁵⁾؛ فقد استمروا عليها أيضاً.

حساب يوم
القيامة هو
المقصود في
لسان الشرع

التّكذيب بيوم
الدّين أفظع
جنایات المجرمين

ترك الأعمال
يقود إلى
الانسلاخ من
حسن الاعتقاد

استمروا
المجرمين على
جنایاتهم
المعدودة إلى
الموت

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 62 / 9، والآلوسي، روح المعاني: 147 / 15.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 62 / 9.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 74 / 21.

(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 716 / 30.

(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 62 / 9.

يومُ القيامة يومُ
تصديق الحقائق
المكذب بها في
الدنيا

بلاغة التعبير باليقين وإسناد الإتيان إليه:

اليقينُ في قوله تعالى: ﴿حَتَّى أَتَنَّا الْيَقِينَ﴾ اسمٌ مصدر (يَقِنُ) ك(فَرِحَ)، إذا عَلِمَ علماً لا شكَّ معه ولا تردُّد. وإتيانه مُستعَارٌ لحصوله بعد أن لم يكن حاصلًا، شُبَّهَ الحصولُ بعد الانتفاء بالمجيء بعد المغيب، والمعنى: حتَّى حصلَ لنا العلمُ بأنَّ ما كنَّا نكذبُ به ثابتٌ⁽¹⁾.

ويُطلقُ اليقينُ أيضًا على الموت؛ لأنَّه معلومٌ حُصولُهُ لكلِّ حيٍّ، فيجوزُ أن يكون مرادًا هنا كما في قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: 99]⁽²⁾.

نكتة التعبير بالماضي في ﴿أَتَنَّا﴾:

جاء بصيغة الماضي في قوله جلَّ من قائل: ﴿حَتَّى أَتَنَّا الْيَقِينَ﴾؛ لأنَّ إتيانَ اليقين أمرٌ قد تحقَّق ومضى قبلَ زَمَن قولهم هذا الكلام، سواء أريدَ باليقين الموتُ أو العلمُ الذي لا شكَّ فيه ولا تردُّد.

دلالة تعريف ﴿الْيَقِينُ﴾:

تعريف ﴿الْيَقِينُ﴾ في قول الحقِّ جلَّ من قائل: ﴿حَتَّى أَتَنَّا الْيَقِينُ﴾ للعهد؛ لأنَّ المرادَ به أمرٌ معهودٌ معلوم، وهو إمَّا الموت، أو العلمُ الجازم، ويُقصدُ به تصديقُ ما كانوا يكذبون به في الدنيا.

بلاغة الكناية والإطناب في ذكر الأسباب الأربعة:

قولُ المجرمين: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمَصْلِينَ﴾^(٣) وَلَمْ نَكُ نُنْطَمِ الْمَسْكِينَ^(٤) وَكُنَّا نَحُوسُ مَعَ الْخَاطِئِينَ^(٥) وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ كنايةٌ عن عدم إيمانهم، سلخوا بها طريقَ الإطناب المناسب لمقام التَّحَسُّر والتَّلهُّف على ما فات، فكأنَّهم قالوا: لأنَّا لم نكن من المؤمنين؛ لأنَّ أهلَ الإيمان اشتبهوا بأنَّهم أهلُ الصَّلاة، وبأنَّهم في أموالهم حقٌّ معلوم

إتيانُ اليقين
سابقٌ على
قولهم المذكور

اليقينُ الذي أتى
للمجرمين معهودٌ
معلوم

أفعالُ المشركين
دليلٌ على عدم
إيمانهم

(1) ابن عطية، للحرر الوجيز: 5/ 399، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 328.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 328.

للسَّائِلِ والمَحْرُومِ، وبأنَّهم يؤمنون بالآخرة ويوم الدين، ويصدقون الرُّسُلَ، وقد جمعها قوله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ١﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ٢﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ٣﴾ [البقرة: 2 - 4] (1).

سرُّ الاختصارِ على الأفعالِ الأربعة:

اقتصرَ المجرمون على أربعة أسباب في قولهم: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ١٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمَسْكِينِ ١٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ١٥﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ١٦﴾ حَتَّى أَتَيْنَا الْيَقِينَ ١٧﴾ مع كثرة جرائمهم وجنایاتهم؛ لأنَّ هذه الأربعة أصولُ الخطايا (2) التي يتفرَّع عنها الكثيرُ من الآثام والذنوب.

❦ الفروقُ المُعْجَمِيَّة:

الدُّخُولُ والسُّلُوكُ:

الدُّخُولُ أَعْمُ مِنَ السُّلُوكِ؛ فالسُّلُوكُ: النَّفَاضُ فِي الطَّرِيقِ، يُقَالُ: سَلَكَتِ الطَّرِيقَ (3). والدُّخُولُ: نَقِيزُ الخُرُوجِ، وَيُسْتَعْمَلُ فِي الْمَكَانِ وَالزَّمَانِ والأَعْمَالِ (4).

وقد عبَّرَ بالسُّلُوكِ هنا؛ للدَّلالة على أَنَّهم قد أدخلوا في سقر إدخالاً هوفياً غاية الضيق، حَتَّى كَانَتْهُمْ السُّلُوكُ فِي الثُّقْبِ (5).

الإِتْيَانُ والمَجِيءُ:

الإِتْيَانُ: مَجِيءٌ بِسَهُولَةٍ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلسَّبِيلِ المَارِّ عَلَى وَجْهِهِ: أَتَيْتُ، وَأَتَاوَيْتُ (6)، والمَجِيءُ أَعْمُ (7). والإِتْيَانُ قد يُقَالُ بِاعتِبَارِ القَصْدِ وَإِنْ لَمْ

ذَكَرَ المَجْرِمِينَ
أَصُولَ خَطَايَاهُمْ

إِدْخَالَ المَجْرِمِينَ
فِي سَقَرٍ لَا رَاحَةَ
فِيهِ

مَجِيءٌ مَا وَعَدَ
اللَّهُ بِهِ يَسِيرٌ
عَلَيْهِ تَعَالَى

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 327 / 29.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 327 / 29.

(3) الراغب، المفردات: (سلك).

(4) الراغب، المفردات: (دخل).

(5) البقاعي، نظم الدرر: 73 / 21.

(6) الراغب، المفردات: (أتى).

(7) الراغب، المفردات: (جاء).

يَكُنْ مِنْهُ الْحَصُولُ، والمجيءُ يقالُ اعتبارًا بالحصول⁽¹⁾. وقد ذَكَرَ اللهُ (جاءَ) في موضعِ الأعيانِ في الماضي، و(أتى) في موضعِ المعاني والأزمانِ، ومن ذلك: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمَنْ جَاءَهُ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ [يوسف: 72]؛ لَأَنَّ الصَّوَاعَ عَيْنٌ، وقَوْلُهُ: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ﴾ [البقرة: 89]؛ لَأَنَّهُ عَيْنٌ، وقَوْلُهُ: ﴿وَجَاءَهُ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: 23]؛ لَأَنَّهَا عَيْنٌ. وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ﴾ [الأعراف: 34] فَلَأَنَّ الْأَجَلَ كَالْمُشَاهِدِ، ولهذا يقالُ: حَضَرَهُ الْمَوْتُ. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا بَلْ جِئْتَنَا بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [الحجر: 63]، أَي: بِالْعَذَابِ؛ لَأَنَّهُ مَرْتَبٌ يُشَاهِدُونَهُ، وَقَالَ: ﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾ [الحجر: 64] حيثُ لم يكنِ الْحَقُّ مَرْتَبًا. فَإِنْ قِيلَ: قد قَالَ تَعَالَى: ﴿أَتَلَهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ [يونس: 24]، وَقَالَ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ [هود: 58]، فَجَعَلَ الْأَمْرَ آتِيًا وَجَائِيًا - فَالْجَوَابُ: أَنَّ هَذَا يُؤَيِّدُ مَا ذُكِرَ؛ فَإِنَّهُمْ لَمَّا كَانُوا مَعْنَى يَرَى الْأَشْيَاءَ قَالَ: (جاءَ)، أَي: عَيَانًا، وَلَمَّا كَانَ الزَّرْعُ لَا يُبْصَرُ وَلَا يَرَى قَالَ: ﴿أَتَلَهَا﴾ [يونس: 24]⁽²⁾.

وقد عُبِّرَ بِالْإِتْيَانِ هُنَا؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ مَجِيءَ مَا وَعَدَ اللهُ تَعَالَى بِهِ مِنَ الْمَوْتِ أَوْ مِنْ ثُبُوتِ صَدَقِ مَا أَخْبَرَ بِهِ الشَّرْعُ؛ يَسِيرٌ عَلَيْهِ تَعَالَى.

(1) الرأغب، المفردات: (جاء).

(2) الزركشي، البرهان: 81/4.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والستون،
سورة المَعَارِج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447 هـ - 2026 م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026 م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارِج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.

مج. 64 ، 806 صفحة ؛ 24x17 سم.

ردمك : 978-9948-647-38-6

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 64 : المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارِج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-38-6

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-6817852 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية : E

"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"